أَلدَّوْرُالوَظيفيُّ لِلْمَكانِ في القَصَصِ القُرْآنيِّ في ضَوْءِ البِنْيَويَّةِ التَّكْوِينيَّةِ

(قصة موسى عليه السلام أنموذجًا)

أ.م.د. كبرى روشنفكر عدنان زماني يوسف غرباوي

جامعة تربية مدرس-طهران جامعة شهيد شمران

فحوى البحث

يعدّ المكان أحد المكونات الرئيسة والمهمة في العمل الأدبي، وقد تتضاعف هـذه الأهمية في الأعمال ذات الطابع الـسردي مثل القصة أو الرواية؛ ذلك لأن المـكان في هـذه الأعمال يلعب الـدور الأكبر في الكشـف عن حقائق الشـخصيات أو الأحداث بوصفه المسرح الذي تقـع فيه الأحداث وتتحرك فيه الشـخصيات. بناءً على هذه الأهمية حاولت هذه الدراسة معرفة دور المـكان في القصـص القرآنية مركـزة في ذلك على قصة نبى الله موسـى عليه السلام كأنموذج لباقي القصص القرآنية. وقد اسـتعان هذا البحث بالمنهج البنيوي التكويني للوصول إلى وظائف المكان وأدواره في قصة موسـى عليه السلام والكشف عن الدلالات التي تحتوى عليها بنية المكان وشفرته، وتوصل البحث إلى أن المكان في قصة موسـى عليه السلام قد اتخذ دلالات ورموزا متعددة وإنه استطاع أن يكشف لنا عن الحالات الشعورية التي تعيشها شخصيات القصة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن المكان هو موقع الأحداث ومسرح الوقائع التي يعيشها الإنسان ولهذا فهو يمتاز بأهمية كبيرة للغاية، إذ من خلاله قد نتعرف على أحوال الشخصيات الموجودة فيه وحالاتها النفسية والاجتماعية و... وفي مجال الأدب -بصفته تصويرا للحياة البشرية في عالم الواقع -نلاحظ أن المكان أيضا يحتفظ بتلك الأهمية التي يمتلكها في الحياة الواقعية ويلعب دورا بارزا في خلق الأعمال الأدبية «فهو الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث، وهذه الشخصيات، ومشحونًا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان»[1] ونظرا لهذه الأهمية التي يحظى بها المكان في العمل الأدبي نشاهد كثرة الاهتمام بهذا العنصر الأدبى لاسيما في الدراسات الحديثة، وإن هذا الاهتمام من قبل الدارسين لا يأتي عن فراغ بل إنهم قد أدركوا ماهية الوظائف التي يؤديها هذا العنصر الأدبي وكذلك عرفوا حجم الفوائد التي تكمن فيه، فمن فوائده هو إنه يشعر القارئ بواقعية الأحداث التي يقرأها والشخصيات التي يتابع أخبارها، وكذلك يفسر للقارئ طبيعة شخصيات العمل الأدبى وسلوكياتها، ذلك لأن الأماكن التي يعيش فيه الإنسان يعطي انطباعاً عن شخصيته، وقد يوضح لنا سلوكه وطبائعه دون إذن منه. فتوافر عنصر المكان يعتبر من الشروط الرئيسية لإصالة العمل الأدبي، وإن الأعمال ذات الطابع السردي مثل القصة والرواية تعتمد على هذا العنصر وباقي العناصر الأخرى مثل الشخصايات، والأحداث والزمان لتكوين هذا العمل والسير به لتحقيق الغايات المقصودة منه. في هذه الدراسة نحاول تسليط الضوء على الواظائف التي يقوم بها المكان في القصص القرآنية بوصفها نصوصا سردية تتوافر فها جميع الشروط اللازمة للعمل

(١) آمنة عشاب، عبد القادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص: المقدمة: أ.

الأدبي ومقومات السرد ومكوناته، وقد شغلت هذه القصص حيزا واسعا من القرآن الكريم لتحقيق غايتين أساسيتين هما الغاية الدينية والغاية الأدبية. ورغم كثرة الدراسات حول عنصر المكان ودوره في العمل الأدبي إلا إننا نشاهد أن هذا الاهتمام ينصبّ على فنون أخرى غير القرآن مثل الروايات وغيرها، فدراسة المكان في القصص القرآنية تعد قليلة بالمقارنة مع باقي الأنواع الأدبية وقد لا تتجاوز أصابع اليد رغم أن المكان في هذه القصص القرآنية يؤدي أدورا ووظائف كثيرة تحتاج الى دراسات مفصلة للوقوف على هذا العنصر وأدواره في بناء القصة القرآنية. وانطلاقا من هذه الأهمية والأدوار الكثيرة التي يؤديها المكان في القرآن فقد اقتصرنا على قصة موسى عليه السلام للكشف عن وظيفة المكان في هذه القصة القرآنية ذات الأحداث والشخصيات المتعددة والأمكنة الكثيرة التي تساهم في بنائها وتقيم العلاقات الوشيجة مع باقي العناصر الأخرى. وليس من الممكن دراسة المكان في جميع القصص القرآنية في بحث بهذا الحجم اذ إنه يحتاج الى بحث أطول ودراسة أوسع. وقد اخترنا قصة موسى عليه السلام أنموذجا للتطبيق لأنها أكثر القصص القرآنية بسطا وتفصيلا، وإن عنصر المكان بارز في هذه القصة، وكذلك لأن هذه القصة بدأت بالسرد وبالأحداث الغريبة والأمكنة المخيفة «أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ». وإن بدء هذه القصة بذكر هذه الأماكن (التابوت، أليم، الساحل) بحد ذاته يعطي لنا دلالات على ما سيقوم به هذا العنصر من وظائف وأدوار في هذه القصة القرآنية، فالتابوت ينقله إلى بر الأمان وموضع النجاة (الساحل) بعد أن سلك به المكان الخطر والمخيف.

لقد استعنا في هذه الدراسة بالمنهج البنيوي التكوينى الذي يرتكز على طريقة التعبير وماهية العلاقة بين المعبر به والدلالات التي يرمز إليها. فالدراسة البنيوية التكوينية للمكان في القصة القرآنية وما تؤحي به من دلالات وإيحاءات توقفنا على العلاقات بين عناصر القصة الواحدة واكتشاف أبعادها

المختلفة ومعرفة عنصر المكان كبنية داخل النص القصصي للكشف عما تقوم به هذه البنية ومعرفة العلاقات الموجودة بين الشكل والمضمون. فعندما نعرج على المنهج البنيوي للقصة فنحن نريد معرفة دور بنيــة النص القصصى (المكان) من حيث إتصالها بباقي البنيات مثل السرد والشخصيات والزمان والأحداث، وقد اخترنا المنهج البنيوى التكويني تحديدا لاعتقادنا بان النص القرآني لا يمكن ان يدرس على أسس المنهج البنيوي الصِرف؛ ذلك لأن البنيوية التكوينية تأخذ بعين الاعتبار العوامل التاريخية والاجتماعية وغيرها، خلافا للبنيوية الشكلانية التي تجعل النص كيانا خاصا وتعزله عن جميع العوامل الأخرى التي قد تضافرت في خلق وتكوينه.

خلفية البحث:

كما أشرنا اليه سابقا، إن دراسة المكان في القرآن الكريم قليلة بالمقارنة مع باقي الأنواع الأدبية، حيث إن دراسة المكان في الأعمال الأدبية الأخرى قد تعددت وتنوعت للغاية وبطبيعة الحال إن كثرة الدراسات وتعددها ستنتج كثرة الآراء في ما يخص تعريف المكان وأنواعه وأدوراه في العمل الأدبي، فنشاهد كثرة التعاريف والتقسيمات للمكان وكذلك كثرة المصطلحات التي ترادفه في المعنى مثل الحيّز، الفضاء، البئية وما إلى ذلك. ومن الدراسات التي كتبت حول المكان في القرآن الكريم يمكننا أن نشير الى دراسة «أمنة عشاب» المعنونة بـ «الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجا». وهدفت الباحثة من دراستها هذه إظهار الجانب الجمالي والفني والأدبي للمكان باعتباره مكونا سرديا له دلالاته الخاصة والمتعلقة به، وقد انتفعنا بهذه الدراسة في الجانب النظري لدراستنا الحالية. وأيضا هناك دراسة أخرى حول المكان في القرآن الكريم تحمل عنوان «أعلام المكان في القرآن الكريم دراسة دلالية» تقدم بها الباحث "يوسف أحمد علي أبوريدة" وهذه الدراسة لم تكن تهدف الى كشف جماليات هذا العنصر في النص القرآني بل إنها كانت دراسة إحصائية لعدد أعلام القران الكريم ودلالاتها

الجغرافية والتاريخية، وقد استفدنا منها في ما يخص بعض الأماكن التاريخية في قصة نبي الله موسى عليه السلام وموقعها الجغرافي على الخريطة. كما إن هناك دراسة لـ"غيداء أحمد سعدون شلاش" تحت عنوان "المكان والمصطلحات المقاربة له –دراسة مفهوماتية" وكما يتضح من العنوان إنها دراسة تبحث عن تعريف المكان أولا ثم البحث عما يقاربه من مصطلحات مثل الامتداد والبيئة والحيز والفضاء وغيرها.

وإذا انتقلنا إلى الأنواع الأدبية الأخرى مثل الرواية والقصة غير القرآنية نلحظ كثرة الدراسات التي كتبت حول المكان ودوره في هذين الحقلين ومن هذه الدراسات نذكر "المكان في رواية الشماعية للروائي عبدالستار ناصر" لـ"خالدة حسن خضر"، و"المكان في الرواية العربية أعمال الطيب صالح نموذجاً، لـ"مريم أكبري موسى آبادي"، وأيضا "تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي" لـ"سليم بتقة".

أسئلة البحث:

- كيف تنسج لنا النصوص القرآنية المكان وتبرزه كبنية فاعلة في بناء القصة وتركيبها؟.
- ما هي علاقة عنصر المكان مع باقي البنيات المكونة للقصة القرآنية؟.
- ما هو دور المكان في فهم أحداث قصة موسى عليه السلام؟.

المفاهيم والمصطلحات:

البنيوية:

لقد أصبحت البنيوية من المصطلحات الشائعة في النقد الأدبي في عالمنا المعاصر وهي منهج من مناهج النقد الأدبي تعنى «البحث عن العلاقات بين البنى المكونة للنص وصولا إلى بنية كلية تربط أجزاء العمل الأدبي في وحدة تكاملية»[٢] وقد أصبحت البنية الواحدة للعمل الفني تحضى بأهمية كبيرة عند البنيويين إذ إنهم يرون أن «الأعمال الأدبية برمتها أبنية كلية لأن دلالاتها في الدرجة الأولى ترتبط بهذا الطابع الكلي لها»[٣] وقد

(٢) إبراهيم عبد العزيز السمري، إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين دار الآفاق العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م، ص١٨٧.

(٣) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مكتبة

ازدهـرت الـدراسـات البنيوية في مجال النقد الأدبي«في الخمسينيات الميلادية إلى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيـات الميـلاديـة»[٤]. بسبب هـذه الأهمية التي اتـصـفـت بـه البنيوية أصبـحـت مجـالا للدراسات النقدية في العصر الحديث وقد اعتبرها الكثيرون بأنها باتت نقطة عطف في مراحل النقد الأدبي، ومع هذا فإنها لم تسلم من النقد والتجريح واتهمت بأنها بتركيزها على النص فحسب وإهمالها لباقي العنـــاصر الأخرى مثل التاريخ والظروف المحيطـة بالنص والسياق، بل تذهب الى أكثر من ذلك إذ إنها تفصل النص عن صاحبه وتدعو الي نظرية موت المؤلف وإبعاده بشكل كامل عن عملية تحليل نصه الأدبي.

البنيوية التكوينية:

إن البنيوية بوصفها منهجا نقديا في الدراسات الأدبية قد طرأت عليها كثير من التغييرات وذلك بسبب ما تتسم به في بعض الأحيان من اختزالية وتجريد وتركيزها على نظام البنية فقط وإهمالها للمضمون والمعنى ورفـض الاعـتراف بحضور الـعـالم الـثـقـافي خـارج العمل الأدبي؛ لهـذا فقد شهدت هـذه المدرسة انتقادات عديدة أدت الى حدوث بعض الانشقاقات والتفرعات بداخلها، فولدت من رحمها البنيوية التكوينية لتعلن رفضها لمبالغات البنيوية الشكلانية وإصرارها على إبعاد النص عن كل ما سواه بمن فيه مؤلفه والعوامل التي قد تؤثر بشكل أو بآخـر في تشكيله. وتسعى البنيويـــة التكوينية لتحقق التوفيق بين النظريات البنيوية وأسس الفكر الواقعى الذي يأخذ بالاعتبار العوامل الاجتماعية والسياسية والتاريخية للنص. «فالبنيوية التكوينية لا تنظر إلى النص على أنه مغلق بل تحاول أن تقيم حوارا بين داخل النص وخارجه»[٥] ويعتبر الناقد الفرنسى لوسيان غولدمان

الروضة الحيدرية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٩٦.

(٤) ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص٧٢.

(٥) الموسى أنـور عبدالحميد، علم الاجتماع الأدبي، (منهج «سوسيولوجيّ» في القراءة والـنـقـد)، دار النهضة الـعـربـيـة، ط١، ٢٠١١م، ص٣٦.

المؤسس لهذا المنهج النقدي الوظيفي[٦].

مفهوم المكان في العمل الأدبي:

إن المكان الذي يعرف بأنه «وسط غير محدود يشتمل على الأشياء، وهو متصل ومتجانس لا تميّز بين أجزائه، وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع»[٧] وقد أصبح المكان في الأعمال الأدبية ذات مفهوم آخر يختلف عن هذا التعريف ولا يراد به المساحة الجغرافية المحددة ذات الأبعاد المعينة بل إن المكان الأدبي «هو مكان تنسجه الكلمات وتستثيره اللغة بخصائصها الإيحائية»[٨]. والبنيويون بدورهم قد ميّزوا بين المكان، وأطلقوا على المكان الحقيقي اسم المكان الخارجي في حين سمّوا المكان الأدبي المكان المتخيل أو المكان الروائي[٩]. والمكان الأدبي له وظائف عديدة يوظفه الكاتب من أجل تحقيقها ومن وظائفه الأساسية تمثيل أحوال المقيمين فيه وبناء الترابط النصي بين عناصر السرد، وإذن نفهم من المكان في السرد على أنه «العالم الشامل والواسع الذي يضم عناصر العمل السردي والعلاقات الرابطة بينهما»[١٠]. هذا وإن غالبية الدراسات عندما تناولت قضية المكان في العمل الأدبي فهي لم تقصد منه سوى «المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخييل الروائي وحاجاته»[١١] فليس المقصود من المكان في العمل الروائي

(٦) إبراهيم عبد العزيز السمري، إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، ص٢١٥.

(٧) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له -دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد١١، العدد ٢، ٢٠١١م، ص٢٤٥..

(٨) آمنة عشاب، عبدالقادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، ص١٠.

(٩) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، تهران، ١٣٨٧ش، ١٢٩.

(١٠) خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية للروائي عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، د. ت، ص١١٧.

(١١) يونس الفيصل، عناصر التخيل في الرواية المعاصرة، مجلة الآداب، جامعة علامة طباطبائي، العدد ١٠، طهران، ٢٠١٣، ص٢٥١.

المكان الواقعي الخارجي بل إن المكان الروائي هو مكان متخيّل. وليس المكان وحده هو العنصر المتخيل في الأعمال الأدبية بل إن القصة الأدبية بأكملها لم تلتزم بالواقع الفعلي ولم تقف عند الحقيقة التاريخية «فبعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له وبعضها يقوم على تشويه الحقائق، وثالث ينحرف به كاتبه عن القيم والمثل والمبادئ»[١٢]. والهدف من كل هذا هو الإثارة والتشويق للمتلقي لتدفع عنه السآمة والملل. هذا في حين إن «القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية»[١٣]. إن الخيال والابتعاد عن الواقعية أو الحقيقة في القصص الأدبية يزيد جماليات القصة وفنيتها وفي الواقع إنها عندما تتخلى عن هذا العنصر الفاعل (الخيال) تفقد الكثير من أسباب جمالها، أما القصة القرآنية ورغم تمسكها بواقعية القصص وحقيقة الأخبار إلا انها مازالت تحتفظ بجمالها الفني ومتعتها الأدبية.

وقد بيّن النقاد المعاصرون أن وجود عنصر المكان في العمل الأدبي هو ضرورة ملحة و«إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي إصالته»[١٤]. ومن المعلوم أن المكان في القرآن الكريم هو مكان واقعي له وجود حقيقي على الأرض وبهذا يتميز المكان القرآني من المكان الروائي الأدبي ومع هذا الاختلاف في الجوهر إلا إن لكلا النوعين دور وتأثير بارز في بناء القصة السردية وأحوالها.

المكان في القصة القرآنية:

يستغل القرآن الكريم -بوصفه نصا دينيا له غاية رئيسية وهي إرشاد الناس

(١٢) فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٢م، ص ١٢.

(١٣) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ١٩٩٣م، ص١٤٣.

(١٤) غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له -دراسة مفهوماتية، ٢٤٨.

وهدايتهم -جميعَ الأدوات التعبيريـــة للتحقيق هذه الغاية فحسب ولا يبحث عن غايات أخرى. فالمكان في القصص القرآنية والـذي يعتبر أداة من أدوات التعبير ليس له قيمة بحد ذاته ذلك لأنه يخضع لمقررات دينية وغايات ارشادية وإن قيمته تتمثل في المشاركة لتحقيق الغايات الأساسية للسور والآيـات، إذن فالمكان القرآني الذي هو موضوع بحثنا والقصة القرآنية بشكل عـام وبكـل مـا لها من عناصر ومكونات هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم وقد خضعت لأغراض دينية تربوية «ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في غرضها»[١٥]، فالجمال الفني والأدبي متوفر في القصص القرآنية وعناصرها رغم إنها لم تكن مقصودة بحد ذاتها ولا تعتبر غاية أساسية.

لقـد تـعـددت الأمـاكـن في الـسـور القرآنية وهـذا الـتـعـدد يرتبط بتعدد الأحـداث والأزمنة والشخصيات وهو يكشف لنا دلالات عميقية وينتقل بنا من جو إلى جو ويعبر عن أبعاد نفسية وإجتماعية ذلك لأن «توظيف المكان في الإبداع القصصى من الوسائل الفنيّة ذات الأعماق البعيدة»[١٦] وفي تتبعنا لعنصـر المكان في القصص القرآنية بشكل عام وقصة نبي الله موسى عليه السلام بشكـل خاص كشفنا أن وجـود هـذا العنصر ينقسم إلى نوعين أساسين هما: المكان الصريح والمكان الضمني، والأمكنة الصريحة هي الأعلام الواردة في القرآن الكريم مثل، مصر، مدين، سبأ، الحِجر أو نظير بعض الأمكان التي أقل وسعة كالقرية، المدينة، المسجد، البيت، أما الأماكن الضمنية فهي تلك الأسماء التي تُستنبط من الكلام ومـن الأحـداث والوقائع، على سبيل المثال عندما نقرأ قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾[سورة مريم:

(١٥) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ١٤٣.

(١٦) آمنة عشاب، عبدالقادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، ص أ.

٤٨]. فنحن لا نشاهد هنا ذكرا صريحا لاسم مكان معين لكن سياق هذه الآية قد تضمن مكانا له وجوده الخارجي، وهذا دون أن يكون هناك تصريح بهذا المكان وتحديد موقعيته الجغرافية، وما يرشدنا لهذا المكان الضمني هو فعل الاعتزال، فنبي الله ابراهيم عليه السلام قرّر ترك أمكنة قومه المشركين واختار مكانا آخر بعيدا عنهم وعن أفعالهم تتوفر فيه إمكانية العبادة وتوحيد الله سبحانه وتعالى. فالأحداث والزمان وشخصيات القصة وسياقها كلها قد توحي بوجود الأمكنة وتسوق لنا دلالاتها وأدوارها الوظيفية التي استخدمت من أجلها. وهنا تقوم البنيوية بأداء دورها في الكشف عن علاقات العناصر التكوينية للعمل وتعريف بنيات السرد من خلال عناصر أخرى مساهمة في خلق العمل الأدبي، ففي المثال السابق الذي يتحدث عن قصة إبراهيم عليه السلام نشاهد وجود بنية معينة (مكان) أرشدنا إليها سياق السرد القرآني وفي هذا المثال قامت بنية الحدث (الاعتزال) بإرشادنا إلى وجود ذلك المكان المتصف بتلك الصفات التي ذكرناها.

قصة موسى عليه السلام:

لا حاجة بنا الى ذكر تفاصيل قصة موسى عليه السلام وانما يكفي أن نعلم بأنها «أكثر قصص المرسلين ورودا في القرآن»[١٧] وأكثرها بسطا وتفصيلا بالنسبة للأحداث الواقعة فيها، وإن كثرة تنقل نبي الله موسى من مكان إلى مكان وتعدد الأمكنة المذكورة في وقائع وأحداث قصته تؤكد لنا أهمية عنصر المكان في القيام بفهم مجريات القصة وعلاقته مع باقي العناصر المذكورة فيها. والأمكنة التي ذُكرت في قصة موسى عليه السلام كانت في بعض الأحيان أمكنة اضطرارية، بعبارة أخرى إن موسى عليه السلام استقر في بعض الأماكن بشكل اختيارى في حين كان وجوده في أماكن أخرى اضطراريا، فانتقاله من مصر بلد الخير والرفاه بالنسبة له إلى مدين البلد المجهول كان اجباريا أما انتقاله من مدين الى مصر كان بشكل اختيارى بعد أن

(١٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١، ج٣، ص٢٥٥.

أدى دينه ووفي بوعده وأصبح حرا في تنقلاته وحركته. وهذا ما يطلق عليه في الدراسات الحديثة عنوان «الأمكنة المعادية» و«الأمكنة الأليفة»[١٨] فمصر كانت في السابق مكانا أليفا بالنسبة لسيدنا موسى عليه السلام، أما في ما بعد أصبحت مكانا معاديا يخشى العودة إليه ويخاف بطش أهله به.

١. المكان في قصة موسى عليه السلام:

لقد انطلقنا في دراستنا للمكان في قصة موسى عليه السلام من التقسيم المكاني الذي ذكرناه آنفا معتمدين على المنهج البنيوى التكوينى الذي يفترض وجود العلاقات بين مكونات السرد القرآني وتفاعلها في خلق النص الأدبي.

الأمكنة في القرآن الكريم

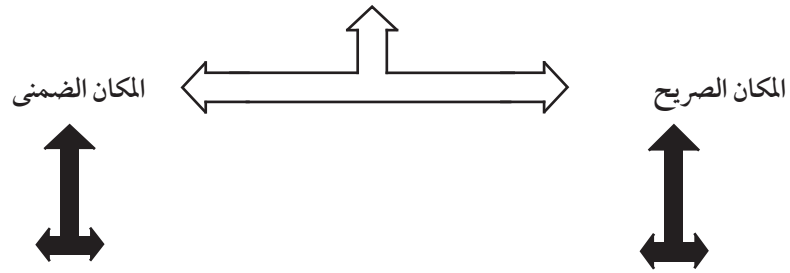

والمكان في هذه القصة كما سنرى إما مكانا صريحا وإما مكانا ضمنيا وكل منها ينقسم الى قسمين أيضا، فالصريح إما أن يكون مكانا ملموسا ومشاهدا و إما أن يكون غيبيا يؤمن به دون رؤيته وإدراكه. وكذلك الأماكن الضمنية قد يكون منها ما هو مشاهد وملموس وما هو غيبى؛ ذلك لأن بعض الأمكنة الصريحية والضمنية قد نشاهدها ويمكن لنا معرفة موقعيتها الجغرافية في حين ان بعض الأماكن الواردة في قصة موسى عليه السلام هي أماكن غيبية أي إن الإنسان لا يمكنه رؤيتها بالعين المجردة كما الحال في الأماكن المشاهدة. والأماكن

(١٨) خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية للروائى عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، د. ت، ١٢٢.

الغيبية هي تلك الأماكن التي ذُكرت ضمن الحديث عن أحوال يوم القيامة وبعد انقطاع الأجل في الدنيا، فالجنة والنار مثلا مكانان صريحان لكنهما غيبيان وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾نشاهد أن مكان العرض الضمني المفهوم من خلال بنية الفعل (العرض) غيبي أي انه موجود في يوم الحساب ولكن كيفيته الدقيقة غائبة عن القارئ والمخاطب، ولكن القرآن الكريم «يصوّر هذه العوالم، وحياة الإنسان فيها تصويرا يقرّبها من ذهن الإنسان، حتى لا يرهقه في التخمين والخيال»[19]. وفي ما يلي سنتطرق لهذه الأنواع من الأمكنة الموجودة في قصة موسى عليه السلام.

لا شك في إن عدد الأمكنة في قصة موسى عليه السلام أمكنة كثيرة لا يمكن حصرها في بحث محدود كهذا، ولذا فإننا نكتفي هنا بذكر نموذجين من كل نوع من أنواع الأمكنة وماهية أدوارها في بناء قصة موسى عليه السلام. كما إننا سنقوم في نهاية الدراسة بإعداد جدول إحصائي لعدد الأمكنة الواردة في هذه القصة مع ذكر دلالاتها الوظيفية وعلاقاتها مع باقي مكونات القصة.

١ -١ -المكان الصريح:

لقد تعددت الأسماء الصريحة في قصة نبي الله موسى عليه السلام وذلك تماشيا مع السياق وما يتطلبه الغرض الأساسي للسورة القرآنية. والاسم الصريح كما اشرنا سابقا يشمل كل مكان ذُكر بشكل صريح واضح مثل قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الزخرف: ٥٣] أو قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة القصص: ٢٢] وأيضا قوله تعالى ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[سورة المائدة: ٢١] ففي هذه الآيات نجد كُلاً من "مصر" و"مدين" و"الأرض المقدسة" أسماء أماكن صريحة لها حدودها الجغرافية الخاصة والتي قد تعرف إلى يومنا هذا.

(١٩) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص١٩٢.

وعندما يتم التصريح بأسماء الأمكنة في القرآن الكريم فانه -جل وعلا -قد جعل لها خاصية معينة ووظيفة محددة، فعلينا البحث عن أدوارهـا في الكشف عما تتضمنه هذه الأمكنة المصرح بها من معانٍ ودلالات أو أدوار لربط العناصر السردية المكونة للقصة القرآنية وما تحظى به الشخصيات الـواردة في القصة من صفات ومزايا خلقية وسلوكية كما يتطلب منا المنهج البنيوى. فللأمكنة الصريحة مزايا تفوق باقي الأنواع فيتطلب منا الدقة وامعان النظر في ماهية تلك المزايا التي تحتوى عليها الأمكنة الصريحة.

١ -١ -١ -المكـان الصريـح المُشاهَدُ (الملموس):

من الأسماء الصريحة المشاهدة في هذه القصة نذكر مصر، مدين، القرية، المدينة، طور سينا، بيت موسى، قصر فرعـون، السفينة و...

السفينة:

يقول الله تعالى في سياق الحديث عن رحلة موسى مع العبد الصالح الخضر عليه السلام: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾[سورة الكهف: ٧١]. مثلما نشاهد في هذه الآيـة المباركة إن بعض أحداث قصة موسى مع الخضر عليهما السلام تقع في سفينة بحرية وهي هنا تمثل مكان أحداث هذه القصة ومجرياتها. وبعد قبول موسى لشرط الخضر عليه السلام رافقه في رحلته التعليمية، ومفاد هذا الشرط هو وجوب تحلى موسى عليه السلام بالصبر وعـدم طرح الأسئلة عن كل ما يشاهده في المسير كما حكت لنا آيات هذه القصة القرآنية. يبرز المكان هنا كعامل رزق لأنـاس مساكين يعملون في البحر ووسيلة نقلٍ لموسى وصاحبـــه الخضر عليهما السلام ومن صفات هذا المكان أنه مكان متحرك باستمرار ويقع هو الآخر داخـل مكان (البحر) متحرك أيضا. والمقيمون في ذلك المكان هم أناس مجتهدون وأهل عمـل ونشاط وحركة، فتشابهت الشخصيات المقيمـة في المكان والمكان نفسة في صفـة الحركـة والنشاط وأثـر كـل منهم على الآخر بشكل أو بآخر. وعندما يقوم سيدنا الخضر عليه السلام بخرق السفينة كان من المفترض لموسى عليه السلام أن يلتزم الصمت كما تقتضى

بنود الاتفاق –ان جاز التعبير –لكن سيدنا موسى المعروف بالحركية والنشاط الدائم لاسيما وأن يكون في مكان كل ما فيه يتصف بالحركة، ينتفض في وجه ما يحسبه نكرانا للجميل بعد أن أركبهما أهل السفينة دون مقابل كما تروى الرويات. فالمكان هنا في الواقع قد أصبح الإطار الحركي لأفعال الشخصيات فضلاً عن وظيفته في تفسير صفات الشخصيات وطبائعها عندما يعكس مواقفها وسلوكها، ويوضح معالمها الداخلية والخارجية»[٢٠]. فالمكان قد ترك تأثيره على كل شخصيات القصة بعد أن بنى معها علاقة تبادلية من خلال التأثير والتأثر.

وفي جانب آخر من هذه القصة يمكن القول بان سيدنا موسى قد ظهر لنا في هذا المكان المتحرك ثابت المبادئ الخلقية والسلوكية، إذ إنه لم ينسى في مكان مؤقت المعايير الخلقية اللازمة، فبمجرد نزوله في هذا المكان أصبح جزءا فيه، له وظائفه تجاه الموقع المكاني لاسيما بعد أن أُحسِن إليه فيه، وإرتى أنه قد التصق في بناء هذا المكان وكينونته فلن يفكر بأنه مسافر سوف ينتقل من هذا المكان ويتوجه إلى مكان آخر. كما تجدر الإشارة هنا إلى انه ونظرا إلى أن هذه الدراسة تقوم على المنهج البنيوى التكوينى يمكن القول أن بنية المكان (السفينة) بحد ذاتها قد أقامت علاقة مع فعل موسى وشعوره، حيث أن المعنى اللغوي الدقيق للسفينة هو الالتصاق بالشيء (هنا مياه البحر) وقد جاء في لسان العرب أن السفينة سُميت سفينة «لأنها تسفنُ على وجه الأرض، أي تلزقُ بها».[٢١] فالمكان هنا لعب دوره البنيوى أيضا في تأثيره على سلوك شخصيات القصة القرآنية وطبائعها، كما أن اللزوق هو أبلغ من اللصوق وذلك لأن اللزوق هو الاتصال بين الشيئين دون أن يكون

(٢٠) مريم أكبري موسى آباديي، محمد خاقاني إصفهاني، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثانية –العدد السابع –خريف ١٣٩١ش، ص٩٠..

(٢١) محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، د. ط، عدد المجلدات: ١٥، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، مادة سفن.

بينهما فجوة أو خلل[٢٢].

١ -١ -٢ -المكان الصريح الغيبي:

لقد شملت الأماكن المتخيلة أو الغيبية في القرآن الكريم جميع الأمكنة التي تَحدثُ فيها وقائع يوم القيامة، مثل الجنة والنار والبرزخ والأنهار والخيام وما شابه وفي هذه القصة نلاحظ أن هذه الأمكنة مثلت لنا أحوال المقيمين بها من خلال رسم صفاتهم وخصائص حياتهم في ذلك اليوم. من أمثلة الأماكن المتخيلة التي قد وردت في هذه القصة نذكر؛ الجنة، أنهار الجنة، دار القرار، جهنم، الورد المورود و...

جهنم:

يقول الله تعالى بعد بيان قصة إيمان سحرة فرعون وانتقالهم من زمرة أهل الباطل إلى جموع أهل الحق ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٤]. يحدثنا القرآن في هذه القصة عن أحوال السحرة قبل وبعد الإيمان بالله تعالى فهم كانوا يعيشون في ظل فرعون ولا يرجون الخير من أحد سواه وفي أفعالهم يعتمدن على سلطته ويفتخرون بعزته وجبروته في الأرض، والآيات الأخرى من قصة هؤلاء السحرة تظهر جانبا دقيقا من أحوال هؤلاء السحرة وحاشية فرعون وزبانيته حيث يتصور بأنهم المستشارين الذين يُرجع إليهم الملك في ملمات الأمور لكن في حقيقة أمرهم هم كانوا عبيدا لا يملكون من الأمر شيئا، وحتى السحرة كانوا مكرهين على القيام به، وحياتهم كانت مرهونة بيد طاغية جبّار وإن الإذعان والقبول لهكذا حياة تعتبر خطيئة لا يقبل بها الله ويعاقب عليها أشد العقاب. وإن الله يعد من كانوا على هذه الحال مكانا (جهنم) فيه ذل وهوان، مكانا، المقيم فيه لا هو ميتٌ فيتخلص من العذاب ولا هو حيّ فينجو من النار. نلاحظ أن المكان المتخيل -وهو جهنم- قد جاء موافقا لحال المجرمين الذين يطيعون الظالم ويكيدون للحق وأهله، وكما كان المكان المتخيل الغيبي مجهول الحقيقة ولا يعرف الإنسان حقيقة صفاته

(٢٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، ط٤ف٢٠٠٤م، مادة لصق.

الحقيقية (عدم الموت وعدم الحياة) فحياة السحرة في الدنيا عند فرعون أيضا مجهولة من حيث الحقيقة، فالإنسان غير العالم يحسب أن حياتهم رفاه وعز وتمكين لكنهم كانوا عبيدا مساكين حيث يفعلون كل ما يؤمرون ويكيدون ويسحرون بأمر من فرعون وزبانيته حتى لو كانوا غير راغبين كما صرح الله لنا حيث قال على لسان هؤلاء السحرة بعد أن آمنوا ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾. فحياة هؤلاء السحرة كانت خاضعة لأوامر فرعون وإن إطاعتها يعتبر جرما جزاؤه جهنم ذلك المكان الفاقد للحياة والموت، فهم في الآخرة غير أموات ولا أحياء كما كانوا عند فرعون قبل إيمانهم.

نلاحظ أن العلاقة بين بنية المكان وباقي عناصر السرد قائمة وفيها تأثير متقابل ثنائي. فالمكان الغيبي المجهول جاء موافقا للحال التي يعيشها المجرمون في الأرض.

١ -٢ -المكان الضمني:

كما ذكرنا سابقا إن الأماكن الضمنية هي تلك الأماكن غير المصّرح بها والمستنبطة من السياق العام للقصة وعناصرها التكوينية، وقد كثر هذا النوع من الأمكنة في قصة موسى عليه السلام بحيث قد يفوق عدد الأماكن الضمنية باقي أنواع الأمكنة التي ذكرناها في هذه الدراسة؛ وذلك لأن جميع الأحداث في القصة القرآنية بشكل عام لابد لها من مكان تحدث فيه، وقد عرفنا أن الله تعالى ذكر المكان والقصة القرآنية أصلا كوسيلة للتعبير عن أغراض دينية، فبالتالي قد يستغني عن بعض عناصر هذه القصة مثل الزمان أو المكان، أو تكون في مراحل ثانوية من حيث الأهمية، لهذا نشاهد هنا بعض الأماكن التي تم التلويح بها دون ذكرها صراحة وقد عُرف هذا النوع من الأمكنة من خلال سياق القصة القرآنية، ونحن في دراستنا الحالية قد أطلقنا على هذا النوع من الأمكنة اسم «الأمكنة الضمنية». وهي أيضا تنقسم الى نوعين؛ ضمني مشاهد وضمني غيبي أو متخيل.

١ -٢ -١ -المكان الضمني المُشاهدُ (الملموس):

المكان المجهـول الواقع بالقرب من «الواد المقدس»:

قـال الله تعالى على لسان موسي﵇ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [سـورة القصص: ٢٩]. إن موسى﵇ يخاطب أهله بالمكوث في مكان ما، ثم يحدد الموقعية الجغرافية لهـذا المكـان وذلـك ليوافق جو القصة وأحداثها إذ إن موسى﵇ قد ضل الطريق هو وأهله ولم يـدر أي السبل عليه أن يسلك، لهذا لم يُصرّح باسم المكان الذي أمر أهله بالمكوث فيه فنحن لا ندرى أنهم مكثوا في سفح جبل أم في معلم من معالم الطريق الذي كانوا يسلكونه أو بالقرب من شجرة مثلا أو ما شابه، وهذا الإهمال لاسـم المكـان هنا جـاء ملائما للسياق العام للقصة. ولكن القصة قد رسمت لنا تصويرا مـن ذلـك المكـان المجهول من خلال ذكر الزمان الـذي حدث فيه الفعل وكذلك من خلال صفاته وأحوال المقيمين. فنعرف أن موسى عندما قال لأهله «أمكثوا» فهو قد عيّن لهم مكانا معينا لا شك إنه يعرفه ليعود إليه بعد أن يتركهم بحثا عـن مرشـد ودليـل. وهو على كل حال قريب من «الطور» أو «الـواد المقدس» أو «البقعة المباركة» ومن صفات ذلك المكان الذي أمر فيه موسى﵇ أهله بالبقاء فيه إنه يفتقر الى ثلاث أشياء أساسية، الأولى إنه لا يوجد فيه مـن يهديهم الـى الطريق الصحيح (لعلى آتيكم منها بخبر)، ولا يوجد فيه ضوء يكشف لهم معالم الطريق ويرشدهم الى سواء السبيل (شهاب قبس)، وأخيرا ليس فيه ما يقيهم من برودة الجو(لعلكم تصطلون).

فنلاحظ كيف أن المكان في هذه الآية قد تفاعلت معه باقي عناصر القصـة وأثرت كل منها في الآخر فرسمت القصة لنا صورة فنية ومشهدا رائعا من خلال حـذف عنصر المكان والإتيـان به ضمن سياق القصة من دون التصريح بإسمه وذكره ذكرا مباشرا.

المكـان المجـهـول الـذي قـصـده بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر:

قـال الله تعالى عن قـوم مـوسي بعد

أن نجاهم من فرعون وأغرق عدوهم في البحر ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[سورة الأعراف: ١٣٨] لقد نجى الله بني إسرائيل من ظلم فرعون وجنوده، ويقال إنهم قصدوا بلاد الشام وأتوا قبلها على قوم يسمون بـ «الكنعانيين». سكان سواحل بلاد الشام[٢٣]. لكن القصة القرآنية لم تذكر لنا المكان الذي أتى عليه بنؤ اسرائيل بالحرف وإنما عرف هذا من الأحاديث وكتب التاريخ، فلماذا حذف هذا المكان من هذه القصة وجاء ضمن السياق الذي يدل عليه فعل «أتوا»؟. إن الإتيان بالمكان هنا بشكل ضمني مشاهد يتلاءم تماما مع الغاية والقصد من القصة إذ إن اسم المكان ليس مقصودا بحد ذاته بل إنه لتأكيد على أن بنى إسرائيل عندما تجاوزوا البحر وصلوا الى مكان ما ووجدوا فيه قوما أهل شرك وأصنام، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما كما لهؤلاء القوم وذلك بعد أن روا الآيات الساطعة والأدلة القاطعة على وحدانية الله وان ليس له شريك يعبد لكنهم قوم يجهلون. فالمكان ليس مقصودا بعينه فترك وألمح اليه تلميحا.

وأتوا على قوم معناه أتوا قوما ولكن الفرق بينهما أن فعل أتوا عندما يتجرد من حرف الجر «على» يعنى الإتيان بقصد الإقامة والبقاء في ذلك المكان الذي أتوا اليه، لكن عندما يأتي مع حرف الجر «على» يعني الإتيان من غير قصد الإقامة والمكوث الدائم فـ «لما ضمن أتوا» معنى مروا عدي بعلى، لأنهم لم يقصدوا الإقامة، ولكنهم ألفوهم في طريقهم»[٢٤]. والبحر المقصود به البحر الأحمر وخرجوا من جانبه الشرقي.

١ -٢ -٢ -المكان الضمني الغيبي:

عرفنا أن القرآن الكريم قد يذكر لنا بعض الأمكنة الصريحة إما مشاهدة في عالم الدنيا وإما غير مشاهدة في عالم الآخرة.

(٢٣) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، عدد الملجدات، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨، ج ١، ص ٥٠٠.

(٢٤) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١، ص ٨٠.

ومن الأمكنة ما هومصرح به وباسمه وما هومحذوف صراحة ومذكور ضمنا، وقد أتينا بنماذج على باقي أنواع الأمكنة وبقي أن نذكر المكان الضمني الغيبي، أي المكان الذي لم يصرح بإسمه وهو يقع في عالم الغيب.

الجنة:

يقول الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَ ﴾ هنا نلاحظ أن موسى﵇ طلب أن يدخل في رحمة ربه والرحمة ليست شيئاً يمكن الدخول فيه، فنعرف أن موسى طلب حقيقة الجنة التي هي موضع ومكان تحل فيه الرحمة المطلوبة. وقد سمى هذا النوع من الحذف في كتب البلاغة بـ «المجاز» ذي العلاقة الحالية. لقد غاب المكان هنا وجيء بما يحتوى عليه ذلك المكان ألا وهو الرحمة التي يشعر بالحاجة اليها كل مؤمن لاسيما ذلك المؤمن الذي يدرك حجم ضعفه أمام الحق سبحانه وتعالى. ان المكان في هذه الآية أصبح نقطة ختام وعاقبة مصير، وهذا المنتهى الأخير والمطلب الكبير له مقدمات ممهدة وهي فعل الغفران الذي يأتي من جانب الله ثم حدثية الإدخال التي تتم أيضا من قبل الله تعالى، والخالق سبحانه في هذه الآية هو المنطلق والمنتهى كذلك إذ إنه صاحب تلك الرحمة التي تحل في ذلك المكان وهو هنا الجنة.

جهنم:

إن قوله تعالى ﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾[سورة هود: ٩٨] لقد ضمن مكانا غيبيا لم يشاهده أهل الدينا، وقد تضمن فعل «أوردهم» هذا المكان وهولا شك جهنم وقد حذف هذا المكان ووضع مكانه بعضا من محتوياته وهي النار. وقد اتفقنا على أن التصريح والتضمين باسم الأمكنة كله مقصود ويتبع غاية معينة في القصص القرآنية. والحكمة من حذف اسم المكان هنا والإتيان به بشكل ضمني هو أن الله تعالى أراد تهويل مشهد من مشاهد أهل جهنم وكيفية دخولهم في مستقرهم الأخير. فكأن ذلك المكان الرهيب قد اختفى تماما وبات يعرف بصفة من صفاته الدائمة ألا وهي النار الحارقة. فلا شك لو ذكر اسم المكان (جهنم) هنا لما كانت تلك الصورة البليغة

التي تصور لنا مشهدا من مشاهد يوم القيامة.

ولما كان فرعون يقود قومه في الدنيا إلى أي مكان شاء وفي أي وقت أراد فهو أصبح في اليوم الآخر يسوقهم كذلك نحو جهنم ليوردهم ذلك الورد، ولكن قيادته لقومه في اليوم الآخر ليست اختيارية كما كانت عليه الحال في الدنيا، بل هو مضطر ومجبر ولو خُيّر لرفض؛ ذلك أن هذه القيادة هي قيادة معلومة المصير ونتيجتها الدخول الى مكان تحيط به النار من كل جانب ويعمه العذاب في كل وقت.

وفي قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أيضا نفس الغاية من حذف المكان والإتيان به ضمن السياق العام للسرد القصصي للقرآن الكريم، إذ أن الحذف هنا يهدف لإسدال أكبر حجم ممكن من الرهبة والعظمة لوصف ذلك المشهد وتلك الدعوة من قائد نحس على نفسه وعلى قومه.

وفي مايلي سنرسم جدولين لإحصاء الأمكنة الصريحة والضمنية التي ذكرت في هذه القصة مبينين من خلالها المزايا العامة التي اتصفت بها كلٌّ من هذه الأنواع وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الأمكنة.

المكان الصريح في قصة موسى عليه السلام

المكان المشاهد	١٥
المكان الغيبي	٨
المجموع	٢٤

المكان الضمني في قصة موسى عليه السلام

المكان المشاهد	٩
المكان الغيبي	٦
المجموع	١٥

نلاحظ أن المكان الصريح بكلا نوعيه المشاهد والغيبي جاء ذكره في قصة موسى عليه السلام أكثر من المكان الضمني وقد يصل العدد إلى ضعفين تقريبا. فقد ذكر المكان الصريح المشاهد وحده في هذه القصة خمسة عشر مرة مما يعادل المكان الضمني برمته. ويظهر هذان الجدولان أن المكان الغيبي هو أقل الأمكنة ذكرا في القصة فقد حصد المكان الصريح الغيبى ثماني مرات والمكان الضمني الغيبي ست مرات، وهذا الأمر يعود لطبيعة القصص القرآنية اذ إنها كثيرا ما تعتمد على الأشياء المحسوسة والتي قد لا يواجه القارئ أي صعوبة في إدراكها واستيعابها إذ إنها تكون مألوفة وأنه يشاهد أمثالها في حياته اليومية وهذا الأمر لا ينقص من فاعلية الأمكنة الغيبية أو تأثيرها إذ إنها ورغم عدم مشاهدة الإنسان لها بشكل حقيقي إلا إنها جاءت في أقرب تصوير من الأماكن الحقيقية والتي يعرفها الإنسان ويشاهدها مشاهدة ملموسة وحسية.

النتيجة:

لقد قامت هذه الدراسة على معرفة الأدوار التي يمكن القيام بها بوساطة أحد العناصر الهامة في تكوين القصة القرآنية وقد تبين لنا أن لعنصر المكان أهمية خاصة في بناء السرد القرآني وينقسم عنصر المكان في قصة موسى إلى نوعين رئيسين يتفرع عن كلّ منهما نوعين آخرين. والنوعان الرئيسيان هما المكان الصريح والمكان الضمني وكما هو واضح من الاسمين فالمكان الصريح هو ذلك المكان الذي صُرّح به وباسمه في القصة مثل «مصر» و«مدين» و«الأرض المباركة» وغيرها من الأسماء المعروفة. أما المكان الضمني فهو المكان الذي لم يذكر بشكل صريح وإنما توصلنا الى وجوده من خلال سياق الكلام. ثم عرفنا أن كلا من المكان الصريح والضمني ينقسم على نوعين هما المكان المشاهد والمكان الغيبي؛ فالمكان المشاهد هو المكان المشاهد سصريحا كان أو ضمنيا هو المكان الذي يستطيع الإنسان رؤيته بالعين ويمكن الذهاب اليه وزيارته لكن المكان الغيبى فهو المكان الذي ذكر في القصة لكن الإنسان لم يستطع رؤيته الا بعد أن ينقضى أجله في هذه الدنيا.

والنماذج لهذه الأنواع كثيرة ومتعددة فالصريح المشاهد كما ذكرنا بعض منها مثل مصر ومدين و... أما المكان الصريح الغيبى فهو مثل الجنة والنار و... أما المكان الضمني المشاهد فنظير «قال لأهله أمكثوا إني آنست نارا» فمن خلال سياق الكلام نعرف أن موسى عليه السلام عندما قال لأهله «أمكثوا» فهو قد حدد مكانا دون من ذكر اسمه. والمكان الضمني الغيبي نظير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

المصادر:

القرآن الكريم.

١. إبراهيم عبد العزيز السمري، إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين دار الآفاق العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠١١م.

٢. آمنة عشاب، عبد القادر عميش، الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

٣. الموسى، أنور عبدالحميد، علم الاجتماع الأدبي، (منهج «سوسيولوجيّ» في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، ط١، ٢٠١١م.

٤. السيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٦، ١٩٩٣م.

٥. السيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١.

٦. بتقة، سليم، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة المخبر، الجزائر، العدد السادس، د. ت.

٧. حسن عباس فضل، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٢م.

٨. خضر، خالدة حسن، المكان في رواية الشماعية للروائى عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، د. ت.

٩. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مكتبة الروضة الحيدرية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠. عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم،

تهران، ١٣٨٧ش.
١١. عماد الدين إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د. ت.
١٢. غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له -دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد١١، العدد ٢، ٢٠١١م.
١٣. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط٤ف٢٠٠٤م.
١٤. محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، د. ط، عدد المجلدات: ١٥، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.
١٥. محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١١م.
١٦. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، عدد الملجدات، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨.
١٧. مريم أكبري موسى آبادي، محمد خاقاني إصفهاني، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثانية -العدد السابع -خريف ١٣٩١ش.
١٨. ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.
١٩. يوسف أحمد على أبوريدة، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلالية، جامعة الخليل (رسالة ماجستير)، ٢٠٠٧ -٢٠٠٨م.
٢٠. يونس الفيصل، عناصر التخيل في الرواية المعاصرة، مجلة الآداب، جامعة علامة طباطبائي، العدد ١٠، طهران، ٢٠١٣، ص١٢٢.